الموت ليس نهاية الحياة

[عن مجلة « باريد الانكليزية »]

قد يحدث أحياناً فى جلسة خاصة لمناجاة الأرواح ، حيث لا يحضر غير الوسيط وشخص آخر أو شخصان ، أن روحاً مجهولة تتصل بالوسيط وتطلب منه إبلاغ رسالة أو تحية إلى أحد أقربائها الذين لا يزالون فى قيد الحياة ؛ وربما تذكر له أيضاً من هى وأين كانت تعيش . وقد يظهر أحياناً أن الروح تعثر على الوسيط مصادفة ثم تعجب لما تشعر به من قدرة على مخاطبته، فتبرهن بجلاء لا يقبل الجدل أنها روح حقيقية لإنسان ميت لا شخصية وهمية من اختلاق العقل الباطن

إن قصة « أرثر فريزر » التى نقصها عليك اقتبسناها من كتاب صدر حديثاً عنوانه : « إلى اللقاء لا وداعاً » تأليف « والترا بليارد » المحامى القضائى والمحافظ السابق لمدينة « شفيلد ». إن هذا المؤلف كان يخاطب دائماً روح زوجته المتوفاة فتجيبه هى بلسان الوسيط ، بنفس اللهجة التى كانت تتكلم بها فى حياتها ، وكانت تبرهن له على شخصيتها بالبراهين القاطعة . وكانت وهى على قيد الحياة تهتم بالأبحاث الروحية اهتماماً عظيما ، فكانت بالطبع مطلعة على الانتقادات التى توجه غالباً إلى مناجاة الأرواح ، لذا كانت تحاول فى كل مرة أن تقدم لزوجها عند مناجاتها براهين لإقناعه لا يمكن دحضها أو الشك فيها ، إذ تأتيه بأرواح أشخاص لا يعرفهم هو ولا أحد من الحاضرين.

يحدثنا المؤلف فيقول : بعد أن أدينا التحيات المتادة وعبارات المجاملة نحو زوارنا الذين هم وراء الغيب ، جاءتنا روح غريبة تطلب الإذن منا بالحديث ، ثم قالت إنها روح شاب اسمه « أرثر ايم » :

« مت منذ ثلاث سنوات بمرض ذات الرئة فى مستشفى محلى ، وكان عمرى إذ ذاك ثلاثة وعشرين عاماً . وكنت أسكن فى منزل رقمه ١٨ « كلايف رود » ، وقد تركت حبيبة لى اسمها « مس كارول » وهى تسكن فى رقم ٢٢٩ فى « فلينت ستريت » ، فأرجو منكم أن تخبروها بأنى لست ميتاً وبلغوها عنى سلام الحب فإنى أظن ذلك يسرّى عنها ، ثم أرجو أن تخبروا والدى بأن أمى معى وهى تهدى إليه تحيتها القلبية ... »

أما أنا فقد اهتممت بالأمر واتصلت فى الصباح التالى تلفونياً بالطبيب الذى يدير المستشفى الذى ذكره ورجوته أن يبحث فى سجلاته عما إذا كان فيها اسم « أرثرايم » ، شاب مات بذات الرئة قبل ثلاث سنوات . فأجاب الطبيب : « لقد مات عندنا رجل بذات الرئة قبل ثلاث سنوات ، ولكنه لم يكن شاباً ، إذ كان عمره فوق الأربعين . . . » أخذت منى الحيرة فى هذا مأخذاً عظيما ، لأنى لم أعهد من « الأرواح » قبل ذلك كذباً ولا افتراء . استنجدت بزوجتى طالباً منها التوضيح ، فأجابت : « سوف تكتشف السر قريباً » فعزمت عندئذ أن أذهب إلى رقم ١٨ « كلايف رود » فى الطرف الشرقى من المدينة حيث تسكن الطبقة العاملة . فلما بلغت هنالك وجدت ساكن البيت له اسم غير الذى ذكر ، وهو كذلك لا يعرف عن صاحب الإسم شيئاً . وبعد أن قضيت طويلاً فى البحث والتحقيق رجعت يائساً متعباً

بعد هذا سافرت خارج البلاد فى عطلة وعند رجوعى عزمت على إعادة البحث ، فقررت أن أزور بيت الحبيبة « مس كارول » لعلنى أجد لديها بعض الايضاح . ذكرت عزمى هذا للوسيط فأخبرنى بأنه خلال الأيام القلائل الماضية قد سمع لفظة « فريزر » تتكرر على مسمعه مرة بعد أخرى بصوت امرأة أول الأمر ثم بصوت رجل بعد ذلك . إنه لم يسمع غير ذلك ولم يدر ماذا يراد به . ظننت أن ذلك له صلة بالأمر فادخرته فى حافظتى إلى حين

ذهبت إلى رقم ٢٢٩ « فينت ستريت » وطرقت الباب فلما فتح ظهر من ورائه شابة فسألتها : « هل أنت مس كارول ؟ » فأجابت : نعم

— هل تعرفين شاباً اسمه « أرثر ايم ؟ »

— أنا لم أسمع بهذا الاسم

فانحنيت احتراماً وسألتها سؤالاً آخر : « هل تعرفين (أرثر فريزر) »

— ماذا تعنى بذلك ، وماذا تبتغى منه ؟

— حسن ! حسبى أن أعرف أنك تعرفين هذا الشخص

— لقد كان حبيبى ولكنه مات بذات الرئة قبل ثلاث سنوات .

وهنا أجهشت الشابة بالبكاء ، ثم ذهبت إلى منضدة كانت فى وسط الغرفة فألقت عليها ذراعيها ، واعتمدت رأسها بيديها أخذت تعول . أخذت أنا أهدئها ، ثم شرعت أحدثها بقصة حبيبها وتحيته لها ، فرفعت رأسها قليلاً ثم شرعت تقص علىّ كيف عاشا معاً حبيبين ، ولكنه ذهب أخيراً للحرب فى سبيل وطنه ، ثم رجع محطما فقضى بقية حياته فى المستشفى

إنها مأساة كغيرها من آلاف المآسى التى أنزلتها بنا الحرب ولقد وجدت صعوبة فى تفهيم الفتاة كيف استطعت أن آتي لها برسالة من حبيبها المتوفى . ولكنى حاولت ذلك جهدى

أرشدتنى الشابة إلى دار حبيبها الفقيد الذى يبعد عن دارها مسافة خمس عشرة دقيقة على الأقدام ، وإذ ذهبت هناك وجدت رجلاً يكسر خشباً فى المطبخ فسألته :

— هل اسمك «فريزر» ؟

— نعم

— هل زوجتك ميتة ؟

— نعم

— هل فقدت ولداً فى الحرب ؟

— نعم

— هل كان لولدك حبيبة اسمها « مس كارول » ؟

— نعم

وعندئذ تناول صورة شمسية من الجدار وأرانى إياها . حقًا كان الرجل ذكيا محترماً فى طبقته ، وحين أوضحت له غرضى من زيارته ، وقصصت عليه حديث ابنه وزوجته التى أرسلت إليه تحية الحب ، كنت كأنى قد لمست وتراً حساساً من قلبه فقال :

« قد قرأت مؤخراً عن السر أرثر كونان دويل » . وعلى هذا كان الرجل مهيأً بعض التهيؤ لفهم الحقائق التى أدليت بها إليه

وبعد أن دخنّا وتحدثنا رجعت إلى دارى شاعراً ببعض الاطمئنان لما قمت به فى ذلك الصباح ، ولكنى ما زلت أحس بقية شك فى حنايا النفس . كان علىّ أن أعرف سبب ذلك الخلط فى الأسماء ، إذ كيف أعطانا الشاب اسم « أرثر ايم » ثم انقلب الاسم بعد ذلك إلى « أرثر فريزر » . سألت زوجتى فأجابت بأنها لا تعلم ولسوف تبحث الأمر ... وبعد لأى جاءتنى بالتفسير التالى أنقله بدون تعليق : « إن اسم الشاب هو « أرثر فريزر » ولكنه حين كان يخاطبك جاء رجل آخر يقال له « ... ايم » فوقف إزاءه . لقد كان هذا الرجل الأخير متحمساً لتلك الصدفة لأنه مات بنفس الداء وفى نفس اليوم ونفس المكان ، ولم يكد « أرثر فريزر » ينطق بشطر اسمه الأول حتى تدخل « ... ايم » فى الحديث ونطق بشطر اسمه الثانى ، وعلى هذا اكتمل الاسم لديكم كأنه « أرثر ايم » من غير انتباه لما بين الصوتين من اختلاف »

أما أنا فقد اعتبرت هذا الحل ممكناً ، ولكنى لم أزل أشعر ببعض الحاجة إلى دليل أوضح ، ولذلك ذهبت إلى الطبيب فى المستشفى مرة أخرى فذكرته بزيارتى الأولى له وقصصت عليه القصة كلها ، ثم رجوته أن يرجع مرة ثانية إلى سجله فاستجاب لى وأخذ يبحث ، ولكنه سرعان ما تملكته الدهشة حين رأى ما يلى :

الاسم	العمر	المرض	تاريخ الوفاه
ارثر فريزر	٢٣ سنة	ذات الرئة	٢١ / ٩ / ٢٠
جيمس هنرى آيم	٤٦ سنة	ذات الرئة	٢٢ / ٩ / ٢٠

حقاً إنها شهادة عظيمة ، ولكن لم يزل ثمة شىء ضئيل من التناقض ، ذلك أن زوجتى قالت إن الرجلين ماتا فى يوم واحد . وقد فسر الطبيب ذلك بأن أحدهما ربما مات فى منتصف الليل ومات الآخر بعده بنصف ساعة ، ولاشك أن زوجتى قد أخبرت بيوم الوفاة لا بساعتها

لقد عجب الطبيب من هذا الأمر لأنى لم أكن أعرف قبل ذلك عن هذين الميتين شيئاً .

(م)